كلمة حضرة القس
أولاف فايكس تيفت(*)

إنَّها لسعادةٌ وشرفٌ حقيقيٌّ أن أُرحِّبَ بكم هنا في مجلسِ الكنائسِ العالميِّ؛ بفضيلةِ الإمامِ الأكبرِ الأستاذِ الدكتور/ أحمد الطَّيِّب، وأن أُرحِّبَ كذلك بأعضاءِ الوفدِ الكريمِ المُرافقِ لكم. كلمة حضرة القس أولاف فايكس تيفت

إنَّ مجلسَ الكنائسِ العالَمِيَّ على غِرارِ شخصِكم، وعلى غرارِ مؤسَّسَةِ الأزهرِ الشَّريفِ الَّتي تمثِّلونَها، ومجلسَ حكماءِ المسلمين الذي تترأسونه يَعتبرُ أن بِناءَ السَّلامِ شيئًا جوهريًّا في صُلبِ الاعتقادِ الدِّينيِّ لدى الزُّعَماءِ الدِّينيِّين والمؤسَّسَاتِ الدِّينيَّةِ.

ولا شكَّ أنَّ الصورةَ العامَّةَ، والخطابَ الجامعَ اللذين نعملُ في إطارِهما حاليًا كي نضطلع بمهمَّتِنا ورسالتنا هما بالتأكيدِ رحلةٌ لأداءِ فريضةِ حجٍّ واجبةٍ علينا من أجلِ تحقيقِ العدلِ والسَّلامِ، ونحن نستخدم هنا مصطلحَ الحجِّ لأسبابٍ عديدةٍ هي:

أوَّلًا: أهمِّيَّةُ فريضةِ الحجِّ في كلِّ الدِّيانات، والاعتراف بها لا سيما في الدِّيانتين المسيحيةِ والإسلامِ، حيث نعلمُ أن الأشياءَ التي نتعلَّمُها عن أنفسِنا وعن العالَمِ المحيطِ بنا، خلالَ رحلةِ الحجِّ، يمكن لها أن تجعلَنا أكثرَ قربًا من الله.

بل إننا أيضا نستخدم لغةً محدَّدةً في رحلةِ الحجِّ بسبب ما فيها من معاني الانفتاحِ ودعوةِ الآخرِ والتَّنقُّلِ والتَّرحالِ، وهذا يعني أنه بإمكاننا دعوةُ كلِّ الأشخاصِ ذوي النَّوايا الحسنةِ للمشاركةِ في هذه الرحلةِ الرُّوحانيَّةِ، والعملِ معًا من أجلِ العدلِ والسَّلامِ في بقعٍ تشهدُ اضطراباتٍ جمَّةً في مختلفِ أرجاءِ العالَمِ.

وعند التَّفكيرِ في دَورِ الدِّياناتِ في بناءِ السَّلامِ فنحن نبدأُ من نقطةٍ مهمَّةٍ ألا وهي الإيمانُ الثَّابتُ الذي يقومُ على الكُتبِ السَّماويَّةِ المقدَّسةِ الَّتي تؤكِّدُ على أن كلَّ البشرِ خُلقوا في صورةٍ تُشبه صورةَ اللَّهِ، حيث نقرأ في «سِفرِ التَّكوين» (١-٢٦): «قال اللَّه: نعمل الإنسان على صورتِنا كشبهِنا».

وهذه الفكرةُ هي اللَّبنةُ الأساسيَّةُ في دراسةِ الإنسانِ في المسيحيَّةِ وهي تعني أمورًا منها على سبيلِ المثالِ: أنَّنا نعتقدُ أنَّه يتعين علينا التعاملُ مع كلِّ البشرِ باحترامِ كرامتِهم وعلى أنهم متساوون في الحقوقِ والمسئوليَّاتِ.

وعلى هذا الأساسِ فإنَّ هناك ضرورةً مُلحَّةً لمنحِهم حقَّ التَّمتُّعِ بحريتِهم كاملةً، غيرَ أنَّ «سِفرَ التَّكوين» يشيرُ أيضًا إلى جانبٍ مُهمٍّ للغايةِ، وهو تحريمُ استخدامِ العُنفِ، وهو الشيءُ الذي أمرَ به اللهُ نبيَّه نوحًا بعد الطُّوفان، وهذا يعكس بشكلٍ واضحٍ وأكيدٍ تحريمَ القتلِ وسفكِ الدماءِ البشريةِ؛ لأن اللهَ خلقَ الإنسانِ في صُورتِه.

إن مجرَّدَ وجودِ هذه التعاليم في الأجزاءِ الأولى من كُتُبنا المقدَّسةِ يعكس القواعدَ الأساسيةَ الَّتي تقوم عليها اعتقاداتُنا، ألا وهي عدمُ جوازِ استخدامِ الدِّينِ كذريعةٍ لتبريرِ العنفِ.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ عالَمَنا المعاصرَ شأنه في ذلك شأن القرونِ الماضيَةِ، يشهدُ مواقفَ عديدةً استخدَمَ فيها المنتسبون لكلتا الدِّيانتين دوافعَ دينيةً لتبريرِ استخدامِ العُنفِ، وعلينا أن نكونَ أمينين، وأن نعترفَ بذلك، غير أنَّنا نعتقدُ كذلكَ أنَّ أتباعَ الدِّيانات بإمكانِهم أن يكونوا أمينين مع بعضهم البعض بشأنِ الطُّرقِ والوسائلِ التي وُظِّفت فيها الدِّيانات من أجلِ دعمِ العُنفِ، وبالتَّالي فنحن مطالبون بالقيامِ بدورِنا في البحثِ عن الطُّرقِ والوسائلِ الكفيلة بجعلِ الدِّيانات جزءًا وطرفًا في تقديمِ الحلولِ لمواجهةِ العُنفِ.

ومن ضمنِ هذه الوسائلِ الَّتي تُمَكِّننا نحن بصفتِنا حاملي لواء هذه الخلافة الربانيَّة الَّتي تسعى إلى بناءِ السَّلامِ - العملُ على تشجيعِ وتوسيعِ نطاقِ المناخِ المناسبِ لحثِّ أتباعِ كلٍّ من الدِّين المسيحيِّ والإسلاميِّ على تعميقِ معارفِهم الدِّينيَّةِ لتمكينِهم من استخدامِ القلبِ والعقلِ والرُّوحِ والعزيمةِ؛ فلا غِنى عن أهميةِ التعليمِ الدِّينيِّ الصَّحيحِ؛ ولكلٍّ من الدِّينِ الإسلاميِّ والمسيحيِّ كتابُه السَّماوي، ولكُتُبِنا السَّماويَّةِ سواءٌ القرآنُ أو الإنجيلُ في عقيدتنا دورٌ كبيرٌ في ذلك، وقد شكَّل الاستخدامُ السَّيءُ المتزايدُ للنصوصِ الدِّينيَّةِ من طرفِ أشخاصٍ لم تُتَحْ لهم الفرصةُ لدراسةِ هذه النصوص في سياقاتِها الصحيحةِ ومعرفتِها معرفةً شاملةً، عاملًا كبيرًا في إثارةِ الكثيرِ من العنفِ باسمِ الدِّين، وبالتَّالي نحن في أمسِّ الحاجةِ للعملِ مع الأجيالِ القادمةِ من الشبابِ المتديِّنِ، ورجالِ الدِّينِ، بما في ذلك أولئك الذين نسمِّيهم في التقاليدِ المسيحيَّةِ بالحواريِّينَ أو التابعينَ لزعماءِ الدِّينِ، لتغييرِ انتقاداتِهم للكتبِ السَّماويَّةِ بحيث تكون من خلالِ الاحترامِ.

وفي الجزءِ الأخيرِ من «إنجيل القديس يوحنَّا» الذي يعتبرُ آخر -وربَّما أكبر- أناجيل العهد الجديد، يقولُ المسيح لأتباعه «كُتبت هذه الأشياء لتؤمنوا بها... ولتكون لكم إذا آمنتم حياة باسمها» (يوحنا: ٢٠: ٣١) ومن ثَمَّ فإن هذه من وجهةِ نظري هي نقطةُ الانطلاقِ لقراءةِ مثلِ هذه النصوصِ بالنسبةِ لكلتا الدِّيانتين، مع محاولةِ البحثِ عن نقاطِ التَّقاربِ بين الكتابينِ السَّماويَّينِ للتأكيدِ على رغبةِ الخالقِ في الحفاظِ على العنصرِ البشريِّ والبشريةِ جمعاء؛ للتمتُّع بالعيشِ والحياةِ بشكلٍ كاملٍ، فيتعيَّن على الدِّياناتِ أن تعطي الأملَ للبشرِ.

إننا لسْنا مسئولينَ فحسب عن النُّصوصِ والتَّعبيراتِ الَّتي تعكسُ الخطابَ الإلهيَّ، ولكنَّنا مسئولونَ أيضًا عن كيفيةِ استخدامِها -أو الشَّطَطِ في استخدامِها- وإشراكِ باقي البشريةِ الَّتي هي بحاجةٍ إلى الأملِ في الغدِ.

والحقُّ أن هناك حاجةً ماسَّةً لإدخالِ تربيةٍ دينيَّةٍ محددةٍ في إطارِ عمليَّةٍ تعليميَّةٍ مُتاحةٍ للجميعِ من بنينَ وبناتٍ، لا سيما الشبابُ، مع مراعاةِ احتياجاتِهم لتعزيزِ قُدراتِهم لمواجهةِ متطلَّباتِ وضُغوطاتِ العالَمِ المعاصرِ.

ومن بين حقوقِ الإنسانِ التي يجبُ أن يتمتَّعَ بها الأطفالُ الحصولُ على فرصٍ سانحةٍ تمكنهم من النُّموِّ في إطارِ المزايا التي تمنحها التربيةُ لهم.
إن مجلسَ الكنائسِ العالميَّ ملتزمٌ التزامًا جديًّا من أجلِ بناءِ السَّلامِ بين الشركاءِ المسيحيينَ والمسلمينَ، كما هو الموقفُ على سبيلِ المثالِ في شَمالِ نيجيريا، وقد سمعتُ من شركائِنا في نيجيريا، لا سيما من المسلمين، أن غيابَ توفيرِ تربيةٍ مناسبةٍ كان السببَ في سقوطِ العديدِ من الشبابِ غيرِ المتعلِّمِ في الشعورِ بالإحباطِ والإحساسِ بالوحدةِ والهجرانِ، وأدَّى هذا الإحساسُ باليأسِ إلى سقوطِهم في شِبَاكِ مجموعةِ «بوكو حرام» التي قامت بتجنيدِهم وارتكابِ أعمالٍ وحشيَّةٍ ضدَّ المجتمعِ برُمَّتِه.
إنَّني أَدِينُ لسماحةِ الدكتورِ بأمورٍ كثيرةٍ منها التزامُكم بدعمِ وتعزيزِ الوجودِ المستمرِّ للجماعاتِ المسيحيةِ في منطقةِ الشَّرقِ الأوسطِ، وتفاعلُكم وانخراطُكم مع الشَّباب وبصفةٍ خاصةٍ لتشجيعِكم الشبابَ المسلمَ والمسيحيَّ على فتحِ حوارٍ مشتركٍ بين الأديانِ، وقد سمعتُ بمشاركتِكم المباشرة في حَلَقاتِ نقاشٍ مُشتركةٍ نُظِّمت هذا الصيف في القاهرةِ، وشاركَ فيها شبابٌ مسلمٌ ومسيحيٌّ قَدِموا من أنحاءٍ مختلفةٍ من العالَمِ للتَّعايُشِ معًا، والاستفادةِ من السِّياقِ والنموذجِ السائدِ في مِصرَ، وأتمنَّى أن نتمكَّن من تنظيمِ المزيدِ من هذه المشاركاتِ في السنواتِ القادمةِ.
وستزورون غدًا مؤسستَنا -المعهدَ المسكونيَّ- في منطقة «بوسي»، وهذه الزيارةُ تتزامنُ مع الذِّكْرى السبعينَ لتأسيسِها، والتي سوف تكونُ نهايةَ هذا الأسبوعِ.
ونحن نتشرفُ بأن تكونوا ضمنَ المتحدِّثينَ الرَّسميِّينَ في هذه الذِّكْرى المجيدةِ، وقد تأسَّسَ معهد بوسي كمكانٍ لاجتماعِ الشبابِ المسيحيين من مختلفِ الكنائسِ، ومن مختلفِ أرجاءِ العالَمِ للتَّعايُشِ معًا، والتعرفِ مع بعضِهم البعض على معتقداتِهم المشتركةِ، وعلى هُويَّاتِهم، والتي نطلق عليها اسم «المسكونية».
كما أن هذه الفئةَ من الشبابِ قد تعلَّمت أيضًا أهمِّيَّةَ إقامة علاقاتٍ قويَّةٍ ودائمةٍ مع أشخاصٍ ينتمونَ إلى دياناتٍ أُخرى، وهذا جزءٌ من ندائِنا المسيحيِّ، كما أنَّه يعكسُ التزامَ مجلسِ الكنائسِ العالميِّ.
ونحن نرغبُ بأن نرى «المعهد المسكوني» في «بوسي» قادرًا على تمكينِ أشخاصٍ ينتمونَ إلى عقائدَ متعددةٍ من المشاركةِ في مجتمعٍ متعدِّدِ الدِّياناتِ خلالَ كلِّ صيفٍ، والتَّعلُّمِ معًا، والاستماعِ لمحاضرين متخصِّصينَ مسلمينَ ومسيحيينَ ويهود.
ومن دواعي سعادتنا أن نقدِّمَ إليكم الدعوةَ لإرسالِ من ترونه مناسبًا من الشبابِ ذكورًا وإناثًا للمشاركةِ في حضورِ محاضراتِ السَّنَةِ القادمةِ، وانطلاقًا من المسئوليةِ المُلقاةِ على عاتقِنا بصفتِنا زعماء دينيِّين عاملينَ في بناءِ السَّلامِ؛ فإننا نتطلعُ إلى إيجادِ فُرَصٍ أخرى للعملِ معًا دعمًا للشبابِ الذين هم مستقبلُ معتقداتِنا، ومستقبلُ هذا العالَمِ، فالعالَمُ يتغيَّر من جوانبَ مختلفةٍ، بما في ذلك الأدوارِ الَّتي تقومُ بها الدِّيانات.

ورحلةُ الحجِّ إلى تحقيقِ العدلِ والسَّلامِ هي رِحلةٌ تحفِّزُ عملَ ونظرةَ مجلسِ الكنائسِ العالميِّ في الوقتِ الرَّاهنِ، ونعتقدُ -نحن المسيحيِّينَ- أنَّه من خلالِ رحلةِ الحجِّ يمكنُ توجِيه الدَّعوة لكلِّ الشعوبِ ذات الإرادةِ الحسنةِ للمشاركةِ فيها.

***